مِنْ سمات التداخل والنصوصية في النص القرآني

محمد زبیر عباسی

ملخص البحث/Abstract

منذ أن تطوَّر "النص" كنظرية في الحَقل اللساني النصي، وبلغ مبلغا عظيما في النقد النصي من خلال أعمال دعاة البنوية وما بعد الحداثة، خلع "النص" لبوسَه القديم، وأخذ يلبس لبوسا جديدا، فتمخضت من خلال تجاوب حركته النقدية والفلسفية بين ميادين الأدب نظريات متتالية تأثر بها الأدب العربي المعاصر، بل جُلَّ ما قيل في سياق التقاء تلك المشارب النقدية النصية بين التراثين؛ العربي والأجنبي كان يعكس الانتكاسة والانبهار تارة، والتطرف تارة أخرى.

وهذه الأساليب النصية تنمو وترقى باستظلال حركة التغيير والإنتاجية والإفادة والاستفادة حتى نال بعضٌ منها النصوصَ المقدسةَ، وعانى الباحثون حينئذ من الدفاع عنها للعلاقات الطبعية والنصوصية بينها وبين مفردات "النص"، ولاسيما العلاقات التي تتداخل وتتعالق وتتلاقح وتتجاوب وتتناوب، ومن ثَمَّ رأى كثير من العلماء أن "التناص" لا يمكن أن يأتي في النص القرآني، أو إن "النص القرآني" بعيد عن أي تناص وبينص.

إن دراسة نصية النص القرآني وتناصه تكتشف عن علاقات دقيقة، وصلات عميقة بين النص والنصوصية، وبذلك لا يكون أي حرج في إطلاق "التناص" على النص القرآني، ودراسته في سياقات النصية المتناصية.

ومما يهم الباحثَ في النص القرآني ونصيته هو ألا يتعامل مع النص القرآني بما يهوى قلبه، بل عليه أن يحتاط بما يلازمه كيلا يتعثر قلمه.

وفي البحث التالي قد قمت بمحاولة ممثلة في نصوصية النص القرآني وتناصيته من وجوه أقام عليها العلماء تفسير الآي القرآنية وتأويلها.

Since the text phenomena has gotten the attention of all the scholarship from all over the world, and it reached at top of that through different application of modern and post modern scholars, the meaning of the text phenomena haver been changed generaly.

Thus, there other different views regarding the textual theory appeared as much as possible. All of them do not describe except the inspiration by minimizing or maximizing of the concept in light of Holy Qur'an.

So for, there are many efforts thay made by many scholars across the world, particularly, by those scholars who refused this new formation of the text or this new textual phenomina, that is why because this concept totally relys on intertext, intertextuality, and intertextual formation of the text.

This research goes to discuss another aspect of textuality that can be applied to Holy Qur'an, that applicable without any doubt to this divine text. How

this textual phenomenon is applicable to Qur'anic text? This research based on this point is answer to this question.

مدخل

شاعت مفاهيم عديدة للتناص *Intertextuality* بين الأوساط العلمية. منذ أن تغير مفهوم "النص" في القرن الثامن عشر عبر تطور مفهوم اللغة، وأخذت اللغةُ تنمو كدراسة نظرية لغوية جديدة طرحها فرديناند دي سوسور *Ferdinand de Saussure* [1857-1913] عند التفريق بين اللغة والكلام، فاللغة أمضت آلية المجتمع، وأصبحت عبارة عن نظام اجتماعي/انطباعات جماعية، أما الكلام فإنه عبارة عن نظام فردي/انطباعات فردية، "فاللغة لا تستقر في الدماغ إلا بعد عدد لا يحصى من الخبرات، وأخيرا يكون الكلام هو السبب في تطور اللغة: فالانطباعات التي نحصل عليها من الإصغاء إلى الآخرين تتجمع فتؤدي إلى تحوير السلوك اللغوي عندنا. فاللغة والكلام إذن يعتمد أحدهما على الآخر، مع أن اللغة هي أداة الكلام وحصيلته، ولكن اعتماد أحدهما على الآخر لا يمنع من كونهما شيئين متميزين تماما". (1)

ثم حصل هذا التمييز بين الثنائية اللسانية؛ اللغة والكلام على الدعاية لدى اللغويين والنقاد حيث بنوا عليها نظرية البنيوية حتى تحكَّموا في منزع دي سوسور أنه كان بنيويا، لأن جذور نظرياته تكشف عن منزعه النقدي، ثم تناول جُلُّ النقاد الحداثيين وما بعد الحداثيين "النصَّ" بصفته مفاد إنتاجات سابقة، وشرعوا يطلقون على العملية النصية "التناصَّ"، وأحيانا "النصية"، وبصفة أساسية عندما تُرْجِمَ المصطلح الإنجليزي إلى اللغة العربية قام المترجمون الحداث بتفسير المصطلح بأساليب عديدة حسب منازعهم النقدية ومشاربهم الثقافية.

ففيما يلي أتناول بعض جوانب "النصية" التي يمثلها النص القرآني، وأقوم بدراسته على أضواء النصية المعهودة اليوم، بل أكاد أن أجزم – دون أن يُحْمَلَ موقفي على الابتغاء من غضِّ مكانة القرآن الكريم أو النيلِ من قدسية النص القرآني في صدور الناس – أن هناك لمحات نصية عديدة، ومقومات وخصائص لغوية كثيرة تكشف عن أبعاض تلك التناصية/النصوصية في القرآن الكريم.

قبل الإطراء بهذه النتيجة البادرة من القراءة السطحية ينبغي أن يلاحظ أن "النصية *Textuality*" التي صارت رمز التداخل والتلاقح والترابط بين النصوص العديدة كانت تُعْرَفُ بـ "الحوارية الباختينية"، ويُقْصَدُ بها كُلُّ تعبير/كلام يكون إثر كلام آخر، فالتتابعية بين الكلامين السابق واللاحق ما كان يعني أن كل جديد هو قديم، أو

(1) علم اللغة العام: 38. لـ فرديناند دي سوسور، ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: الدكتور مالك يوسف المطلبي، سلسلة كتب تصدر عن دار آفاق عربية، الأعظمية – بغداد، 1985م. وفي تفاصيل منهج دي سوسور النظري ومنزعه النقدي اللغوي راجع: أعلام الفكر اللغوي التقليد الغربي من سقراط إلى سوسير: 255/1 وما يليها. لـ روي هاريس وتولبت جي تيلر، تعريب: الدكتور أحمد شاكر الكلابي (مواليد العراق 1950)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 2004م.

كل قديم هو جديد، لأن إصدار مثل هذا الحكم الصارم من المحالات، ولاسيما في إطار توجيهه إلى النص القرآني الأزلي. يقول تزفيتان تودوروف *Tzvetan Todorov* [1939]:

"The most important feature of the utterance, or at least the most neglected, is its dialogism, that is, its intertextual dimension. After Adam, there are no nameless objects, nor an unused word". (2)

الحوارية هي أهم ميزة في الكلام/الملفوظ، أو على الأقل، هي سمة أكثر إهمالا فيه، وهذا هو بُعْدُها الحرفي. فلم يبق مسمى مجهول الاسم أو كلمة لم يستعملها أحد حتى الآن بعد آدم.

كما ظن الباحثون العديدون اليومَ، ووقعوا في مظان غريبة، هذا التوارث والتناسل بين السوابق واللواحق كان يدل على العلاقة التناصية، أي العلاقة الطبعية بين النصوص التي تشير إليها مذاهب نشأة اللغة الإنسانية، فاللغة عند ابن جني [392هـ] عبارة عن "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (3) و"لا شك أن الفضل في نشأة اللغة الإنسانية يرجع إلى المجتمع نفسه وإلى الحياة الاجتماعية. فلولا اجتماع الأفراد بعضهم مع بعض وحاجتهم إلى التعاون والتفاهم وتبادل الأفكار والتعبير عما يجول بالخواطر من معان ومدركات ما وُجِدَتْ لغةٌ ولا تعبيرٌ إراديٌّ". (4) ومن ثَمَّ أخذت اللغة تنصبغ بطابع اجتماعي، وتفرعت كذلك إلى اللغة المطلقة واللغة المعينة والكلام... فلا تخلو أية لغة في العالم من إشعاعية الجماعية والانسراب والتسرب والتسريب والإزاحة والتداخل والتلاقح.

من منظار "النسخ" في القرآن الكريم، فالمسلم يعتقد أنه قد جرى فيه، ولا يستلزم ذلك الجهلَ بالعواقب على علَّام الغيوب، ولا تجويزَ العبث على الحكيم العليم، لأن "مصالح العباد تتجدد بتجدد الأزمان، وتختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، وأسراره وحكمه سبحانه لا تتناهى، ولا يحيط به سواه، فإذا نسخ حكما بحكم، لم يخل هذا الحكم الثاني من حكمة جديدة غير حكمة الحكم الأول، هي مصلحة جديدة للعباد في الحكم الجديد، أو هي غير تلك. وسبحان من أحاط بكل شيء علما. وإذن فلا يستلزم نسخ الله لأحكامه بداء ولا عبثا". (5) والنسخ بجميع مزاياه يفتح مجال إدراك العلاقات الخفية من خلال دراسة الاتساق والانسجام النصي في القرآن الكريم

(2) Intertextuality: 27. by Graham Allen. Routledge Taylor and Francis Group London and New York, 2nd Edition 2011.

(3) الخصائص: 34/1. أبو الفتح عثمان بن جني. تحقيق: محمد على النجار. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الثالثة: 1406هـ - 1986م.

(4) علم اللغة: 96. لـ د. على عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة التاسعة 2004م.

(5) نظرية النسخ في الشرائع السماوية: 30. لـ د. شعبان محمد إسماعيل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة لصاحبها عبد القادر محمود البكارذ، الطبعة الأولى 1408هـ-1988م.

لمراعاته العوامل الاجتماعية الثقافية والنفسية واللغوية، وهذا الأمر على عكس ما ظنوا بالله الظنونا عبارة عن الإعجاز النصي أو الإعجاز النظمي للقرآن الكريم.

إن القرآن الكريم كتاب عربي مبين، نزل بلغة قوم يعرفون أسلوبه، ويفهمون دلالته، ويدركون مغزاه، ولذلك حينما نزل القرآن الكريم فما استغربوه بل بُهِتُوْا حائرين عاجزين عن مواجهته. يقول الراغب الأصفهاني: "فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحِكَمهم، وإليها مَفْزَعُ حُذَّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم". (6) وبذلك يتحقق إرجاع النص القرآني إلى العلاقات المتداخلة والمستويات المتجاوبة والجوانب المتشابكة لدرك مواطن دلالاته وأهدافه، ولا يشمل "النص" هذه المزايا بمختلف مفاهيمه لاهتمامها بظاهر النص فقط، وما ظفر باهتمام خاص من النظر إلى ظاهر النص وباطنه هو ما جاءت به جوليا كريستيفا، فـ "النص" تعني:

"it is a permutation of texts… taken from other texts, intersect and neutralize one another". (7)

أنه فسيفساء من الاقتباسات/المقتطفات... بالإحالة (الاقتطاع والتحول والتحويل) تارة وبدون الإحالة (التقاطع) تارة أخرى...

وكذلك تقول:

"Any text is constructed as a mosaic of quotations; any text is the absorption and transformation of another". (8)

كل نص يصاغ مثل فسيفساء من الاقتباسات، فكل نص امتصاص وتحول نص آخر.

إن جذور عملية "التناص" تتحدد في بوادره الأولى عند جوليا كريستيفا *Julia Kristeva* التي صرحت بمصطلح "التناص" للمرة الأولى، ولم تقصد به البحث عن المصدرية والمرجعية، أو قضية التأثر والتأثير بين النصين؛

(6) المفردات في غريب القرآن: 6. لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني [502هـ]، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني.

(7) Desire In Language: A Semiotic Approach to Literature and Art (The Bounded Text). p. 36. by Julia Kristeva, Edited by Leon S. Roudiez, Columbia University Press, New York 1980.

(8) Against Intertextuality: Philosophy and Literature: p. 228. by William Irwin, v28, Number 2, October 2004, Published by The Johns Hopkins University Press.

Desire In Language: A Semiotic Approach to Literature and Art (The Bounded Text). p. 66.

القديم والجديد، إنها قصدت بالنص أنه: "جهاز عبر لغوي يعيد توزيع نظام اللغة، يكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيرا إلى بيانات مباشرة. تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة، والمتزامنة معها. والنص – نتيجة لذلك – إنما هو عملية إنتاجية، مما يعني أمرين:

(1) علاقته باللغة التي يتموقع فيها تصبح من قبيل إعادة التوزيع — عن طريق التفكيك وإعادة البناء — ...

(2) يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى؛ أي عملية تناص؛ ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى مما يجعل بعضها يقوم بتحديد البعض الآخر ونقضه". (9)

ولعل عملية إنتاجية التقاطع وتفاعلية التداخل المحركة داخل اللغة تتواجد فيما أجاب به عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حينما سُئِلَ عن الكناية في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [ن: 42]، فقال: "إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

صبراً عَنَـــاقُ إنه لشِرْبـــاقْ قد سَنَّ لي قومُكِ ضَرْبَ الأعناقْ

وقامت الحربُ بنا على ســـاقْ

وقال مجاهد: يكشف عن ساق: شدة الأمر". (10)

فـ "كشفُ ساقٍ" كناية عن منتهى الشدة والروع، اختار الله تعالى لغة أفصح قوم زمانه في الإبانة عن معنى أعظم أمر وأشد ساعة.

هذه الطريقة المألوفة تعني أن كل قوم كان لديه تصور مألوف عن المعجم، ومما لا شك فيه أن المعجم يتكون من ثنائية الزمن: الديكروني والسنكروني، وفي كلتا الحالين لا تخلو لغة القرآن الكريم من تعالق وتداخل وتلاقح في النص الواحد أو النصوص المتعددة، أما النص الواحد، فإن القرآن الكريم كتاب معجز، ومنظوم إلهي، للربط اللفظي والمعنوي والدلالي بين آياته وسوره. وهذا الربط المعجز يثبت الوحدة المتماسكة فيه التي أعجزت كل خَلْقٍ عن أن يأتي بشيء من مثله.

فالقرآن الكريم نص إلهي، ولا يضره أي تناص في كونه صفة لله تعالى، لأن "الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ". (11)

---

(9) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: 28. للدكتور أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة، الطبعة الأولى 2001م.

(10) تفسير التحرير والتنوير: 98/29. للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس. 1984م.

(11) دلائل الإعجاز: 48. للإمام عبد القاهر الجرجاني، صحح أصله الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، علق عليه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت — لبنان. الطبعة الثالثة 1422هـ-2001م.

وهذا الأمر يعني أن كل نص لا يعني أن يعيش وحده، بل كل التعابير تنتجها آثار تكون آثارا لأخراها إلى اللانهاية، كل نص يكون مادة محمولة، ومتقبلا ومتفاعلا مع غيرها.

"The life of the word is contained in its transfer from one mouth to another, from one context to another context, form one social collective to another, from one generation to another generation. In this process the word does not forget its own path and cannot completely free itself from the power of those concrete contexts into which it has entered". (12)

حياة الكلمة تكون في نقلها من فم إلى فم آخر، من سياق إلى سياق آخر، من إطار جماعي إلى إطار جماعي آخر، من جيل إلى جيل آخر، لا تنسى الكلمة في هذه العملية مسارها الخاص، ولا يمكن أن تهرب بحذافيرها من قوة السياقات الملموسة التي دخلتها.

فالقرآن كلام الله تعالى، ولا حرج في القول إنه يمكن أن يدرَك بجملة ملامحه وسماته على ضوء ملامح "التناص" وسماته، ويكرر المفسرون عند تفسير القرآن الكريم: نص قرآني، كلام إلهي وغيرهما... ماذا يعني نصية النص القرآن الكريم، وماذا يقصد بكونه كلاما لله تعالى وحده، وماذا يقال عن كونه ملفوظا إلهيا؟؟؟

فكل ما يسمى كلام يمر بالمرحلتين الأساسيتين، يقول ألن:

"The placing of words together in sentences involves what is termed the syntagmatic (combinatory) axis of language; the selection of certain words out of sets of possible words involves what is termed the paradigmatic (selection) axis of language. Any piece of language (*parole*) is produced by processes of combination along the syntagmatic axis and of selection along the paradigmatic axis". (13)

وضع الشفرات معا في جمل يسمى بـ العملية السينتجماتية/التوفيقية اللغوية؛ بينما اختيار بعض الشفرات من مجموعات ممكنة للكلمات يسمى بـ العملية البراجماتية/ النموذجية والاختيارية اللغوية. يتم إنتاج أي جزء من اللغة من خلال إعمالها عن طريق التوفيقية اللغوية والنموذجية اللغوية.

(12) Intertextuality: p. 26.

(13) Intertextuality: p. 9.

فالمكتشفات الحديثة في علم النصوص القديمة أو فقه اللغة *philology* تؤكد الآن أن اللغة العربية تنتسب إلى لغات سامية مثل أخواتها من اللغة الآشورية والبابلية والفينيقية والأكادية والعبرانية والسريانية والآرامية والحبشية... "واللغتان العبرانية والعربية تحتلان مكانة خاصة بين اللغات السامية كلغتين حيتين يرجع الفضل في إبقائهما إلى التوراة العبرانية والقرآن العربي على الترتيب. ومن مميزات اللغة العربية أنها تشتمل على عناصر قديمة جدا من اللغات السامية الأصلية. وهذا يدل على أن اللغة العربية كانت موجودة في مهد اللغات السامية أو ناحية قريبة منه، أو أن العناصر التي نزحت إلى بلاد العرب، كانت من أقدم الأمم السامية". (14) وهذا التعالق بين اللغة العربية وغيرها تثبت التعالق والترابط بين عربية القرآن الكريم وسلالة أصولها، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]، فالقرآن الكريم أثَّر في جميع اللهجات العربية الشائعة في جميع أنحاء الجزيرة، "فقد بدأت تتبلبل وتضطرب وتنجذب بقوة إلى لغة القرآن حتى اندمجت كلها في لهجته التي هي لهجة الحجاز كما كان ينطقها خاصة أهل مكة". (15) وقد تقرَّر هذ التداخل في نص القرآن الكريم الذي اختاره الله تعالى لبني الإنسان ليهتدي به إلى سواء السبيل، إن بُدِّلَ أو استُبْدِلَ أي لفظ منه بلفظ آخر انتقض معناه ومطلبه.

فالنص القرآني من منظار نظرية الدلالة/الرمز *sign* لدى دي سوسور يكشف عن خفاء أبعاده، ولانهائية دلالاته، وتعددية دقائق معانيه، وشمول أسلوبه، وهذه التعددية واللانهائية واللاحدودية في دلالات مضامين النص القرآني عبارة عن الفسحة الكائنة فيه، الناجمة عن جميع السياقات الثقافية والتاريخية والجماعية واللغوية والتركيبية تشكِّل لها وجودا في إطار هذا النص المقدس حيث لا يمكن انفصاله عنها ولا انفصالها عنه.

ظهر مما سبق أن التداخل الدلالي والمضموني في النص القرآني باعتباره نصا عربيا أصيلا، والنصوص الأخر التي ورد على شاكلتها في كلام العرب تقوم ببلورة سمات النصية المتلاحمة التي يألفها الإنسان، فالقرآن الكريم منزل من الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم بلغة عربية مبينة معجزة للخلق برمته عن أن يأتي أحد منهم بشيء من مثله أبدا، ورغم هذه الحقيقة إنه لا ينبغي أن يُحْكَمَ على الإطلاق بنفي الصلة بين هذا الكتاب المبين والكتب السالفة، لأن التداخل والتلاحم والتعالق في مجال هذا النص يعني تداخل الدلالات وتلاحم المفاهيم وتعالق المضامين من حيث الغاية والهدف، إلا أن التغيير الذي وقع فإنه كان من مقتضيات الزمان، وهذا الأمر يحملني على القول إن النص/البنية تشير في ذاتها إلى شبكة العلاقات بين المستويات اللغوية من الصرفية والنحوية والصوتية، والمستوى المعجمي، والمستوى الدلالي، هذه المستويات الوظيفية والمعجمية والدلالية تمنع المتلقي منعا

(14) حاضر اللغة العربية: 591. ل د. مظهر معين، قسم اللغة العربية وآدابها، مطبعة جامعة بنجاب، لاهور، باكستان. 2008م. انظر: تاريخ اللغات السامية: . ل إسرائيل ولفنسون،

(15) حاضر اللغة العربية: 595.

باتا من الخوض في قراءة النص دون الإلمام التام بظواهر سياقية، والنص في نطاق "النصية" و"التناصية" صار امتدادا لها، يقول جرام ألن شارحا العلاقة أو العلاقات النصية بين النصوص:

"Reading thus becomes a process of moving between texts. Meaning becomes something which exists between a text and all the other texts to which it refers and relates, moving out from the independent text into a network of textual relations. The text becomes the intertext". (16)

صارت القراءة مسمى للعملية الجارية بين النصوص. أصبح المعنى شيئا يوجد بين النص (الأمامي/الحاضر) والنصوص الأخرى التي يشير إليها ذاك النص، وكذلك أمضت القراءة مسمى لخروج النص من إطار مفرده إلى شبكة العلاقات النصية. أصبح النص متناصا.

فالنص القرآني من إطار المفهوم الجديد للتناص يتصف بالاستقلالية والبقاء الدائم والعلاقة الوثيقة بينه وبين السوابق من وجهة المفاد واستيعاب العلاقات الممكنة بين النصوص وغيرها، والأمر يتضح بكثير إذا دُرِسَ "النص" من إطار استراتيجية التفكيك التي تعتبر مبدأ انقلاب جذري حدث في مفهوم "النص":

"What has happened, if it has happened is a sort of overrun… that spoils all these boundaries and divisions and forces us to extend to accredited concept, the dominant notions of…". (17)

"ما حدث، إذا كان قد حدث، هو عملية اجتياح... أبطلت كل هذه الحدود والتقسيمات وأرغمتنا على توسيع المفهوم المتفق عليه... لما استمر في تسميته "نص" لأسباب استراتيجية... "نص" لم يعد منذ الآن جسما كتابيا مكتملا، أو مضمونا يحده كتاب أو هوامشه، بل شبكة مختلفة، نسيج من الآثار التي تشير بصورة لانهائية إلى أشياء ما غير نفسها، إلى آثار اختلافات أخرى. وهكذا يجتاح النص كل الحدود المعينة له حتى الآن". (18)

ومنه شرع النص القرآني يحمل في طياته آثارا سابقة وأصداء ماضوية، ومن الطبع إن معنى حمل النص أثر نص آخر أو صدى نص آخر لا يعني إفادة النص من السابق، وإن عني به ذلك، فإن تلك الإفادة تعني الاكتسابَ من منظور النصية البشرية، بينما تعني الإكسابَ من منظور نسبته إلى الله سبحانه وتعالى، بالقياس إلى هذين الطرفين

(16) Intertextuality: p. 1.

(17) Deconstruction and Criticism: by Harold Bloom,

(18) المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك: 366-367. عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1418هـ-1998م.

فإن هذه الإفادة المنبثقة عن التأثر والتأثير المتبادل بين الطرفين مبنية على أسس تاريخية وثقافية، وتضع النصَّ من إطار تفكيك تلك الأسس في وضعٍ لانهائيٍ ولاتحديدي.

فلا يكون النص إلا نتاج نص مسبوق مثلما قاله ابن فارس: "باب القول على أن لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها، وأن الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير، وأن كثيرا من الكلام ذهب بذهاب أهله: ذهب علماؤنا أو أكثرهم إلى أن الذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل، ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير، وأحر بهذا القول أن يكون صحيحا، لأنا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير مما قالته العرب، فلا يكاد واحد منهم يخبر عن حقيقة ما خولف فيه، بل يسلك طريق الاحتمال والإمكان". (19) ومن هنا تزول الإشكالات كلها التي تدور حول وجود الألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم، هذا التمازج والتداخل والتلاقح والترابط والتماثل لا يعني أن النص القرآني – معاذ الله – كلام محمد صلى الله عليه وسلم، إنما القرآن الكريم كلام الله، الواحد، الأحد، الصمد، القادر، المقتدر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن. فالعناصر البدوية والحضرية والألوان الأدبية التي تظهر في هذا الكلام المعجز إنما دليل على إعجازه الرباني، لأنه إن كان نسخة من إنسان ما لكان قد تُحُدِّيَ في بواكير نزوله، ولكن ما جاء أحد بكلام يعادله في جانب من جوانبه فضلا عن الإتيان بشيء يفوق هذ الكلام الخالد.

ما ورد في القرآن الكريم من الأحكام والعبادات والمعاملات وتدبير المنزل والسياسة المدنية والرد على اليهود والنصارى والمشركين وما يتعلق بعلم التذكير بأيام الله "إنما وقع بيان هذه العلوم على أسلوب تقرير العرب الأول، لا على أسلوب تقرير المتأخرين". (20) فالنص القرآني كتاب يهتدي به الناس، وهذا الاهتداء لعله يُفْهَم من إطار النص الناجم عن نصية ما بعد الحداثة، لأن تلك النصية تعني دراسة النص من خلال تحليل العلاقة بينه وبين المتلقي، فالمتلقي يستخرج من النص ما يحتاج إليه من المعنى والدلالة.

ذكر القرآن الكريم الوقائعَ والأحداث إجمالا مثل قصص قوم نوح، وعاد، وثمود، وقصص إبراهيم، وأنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، فإنها كانت مألوفة لمخالطتهم اليهودَ العربَ، لا القصص الشاذة غير المألوفة، ويتأكد منه أيضا أن القرآن الكريم انتزع أشكال الوقائع التي أحدثها الله تعالى، فالعلاقة بين القصص من خلق آدم عليه السلام في الأرض، وسجود الملائكة له، وامتناع الشيطان منه، وسعيه بعد ذلك في إغواء بني آدم، وقصة مخاصمة

(19) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: 36 وما بعده. لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. التعليق والحواشي لـ أحمد حسن بسج. منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة الأولى 1418هـ–1997م. وانظر كذلك: المزهر في علوم اللغة العربية: 1/53–55. للإما جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. ضبطه وصححه ووضع حواشيه فؤاد على منصور. دار الكتب العلمية–لبنان، الطبعة الثانية 2009م.

(20) الفوز الكبير في أصول التفسير: 18. ويليه فتح الخبير بما لابد من حفظه في علم التفسير كلاهما للإمام الشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم العمري الدهلوي [1176هـ] مع مقدمة التفسير للعلامة الحسين بن محمد بن المفضل الملقب بالراغب الأصفهاني [502هـ]، قديمي كتب خانه – آرام باغ نمبر 1.

نوح وهود وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب عليهم السلام... علاقة ذات وُجْهَتَيْنِ، الوجهة الحاضرة، والوجهة الماضية، والمزج والدمج بين هاتين الوُجهتين يعني التهجين القصصي، والبياني، والنصي، والأسلوبي، فلكل قصة ستار، ولكل ستار حكمة، ومن يُؤْتَى تلك الحكمة الربانية فقد أُوْتِيَ خيرا كثيرا، لأن القرآن الكريم كتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه حتى يوم الساعة. "والكلية في مباحث الأحكام أنه صلى الله عليه وسلم بعث بالملة الحنيفية، فلزم بقاء شرائع تلك الملة، وعدم تغيير في أمهات تلك المسائل سوى تخصيص العموم وزيادة التوقيتات والتحديدات ونحوها، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يزكي العرب بحضرة النبي عليه الصلاة والسلام، ويزكي سائر الأقاليم بالعرب، فلزم أن تكون مادة شريعته صلى الله عليه وسلم على رسوم العرب وعاداتهم، وإذا نظرت إلى مجموع شرائع الملة الحنيفية، ولاحظت رسوم العرب وعاداتهم، وتأملت تشريعه صلى الله عليه وسلم الذي بمنزلة الإصلاح والتسوية تحققت لكل حكم سببا، وعلمت لكل أمر ونهي مصلحة. وتفصيل الكلام طويل". (21)

فالحيوية في الأحكام وغيرها تقف عند حدود ارتباطها بالناس/المتلقين، وهذه العلاقة تعني التعالق والتداخل والتلاقح والتثاقف داخل النص أو النصوص، هذه المفردات وإن تم ضبطها بألوان الحداثة وما بعدها ولكنها في الواقع تعالج مفردات قديمة لا تفتأ تُكَرَّرُ ضمن مؤشرات تفسير الآي القرآنية، فالقرآن الكريم لم يَجِدْ أصلا عن تبيان أصول الملة الحنيفية وبيان شرائعها وأمهات مسائلها، وهنا يتم الدمج الكلي بين النص القرآني وغيره من النصوص الأخر، بينما تخصيص العموم، وتعميم الخصوص، وزيادة التوقيت والتحديد، وإرساء مادة شريعة محمد صلى الله عليه وسلم على أسس رسوم العرب وعاداتهم... أمور لا تزال تتحرك في دوائر الأخذ والجلب، والإزالة والترسيب، والتحول والتحويل، والتغير والتغيير، والنسخ والاستنساخ. وكل ذلك ليكون القرآن الكريم حجة قاطعة على العرب المفلقين من الشعراء والخطباء والمترسلين والكتاب وغيرهم.

والحقيقة النصية تتجلى في قضية معرفة أسباب الغموض في المعنى والمراد من اللفظ القرآني، تقرَّر لدى العرب أنه كلام إلهي، إنه ليس كلام شاعر، ولا كاهن ولا عراف، ومع ذلك ما استطاعوا أن يصلوا إلى المراد منه بل كانت ألسنتهم تتلعثم وعقولهم تحار وآراؤهم تضطرب تجاه ضبط المعنى المطلوب منه، كان عظماء قريش مجتمعين ذات يوم في ناديهم، فجرى ذكر الرسول ﷺ وفيهم النضر بن الحارث بن كلدة، (22) وكان رجلا، داهية، محنكا، وعالما بالأخبار، فقال لقومه ذات يوم: "يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاما حَدَثا أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب

(21) الفوز الكبير في أصول التفسير: 35-36.

(22) كان من شجعان قريش، وصاحب لواء المشركين ببدر، وكان ابن خالة النبي ﷺ، ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية، وآذى رسولَ الله ﷺ كثيرا. انظر: هامش دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: السفر الثاني/202. لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ودار الريان للتراث القاهرة، الطبعة الأولى 1408هـ – 1988م.

(حينما وخطه الشيب)، وجاءكم بما جاءكم به (وعرض عليكم أمر الكتاب المبين)، قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السَّحَرة ونَفَثَهم وعُقَدَهم، وقلتم كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم، وقلتم شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها: هزجه ورجزه، وقلتم مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، فما هو بخنقه، ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل فيكم أمر عظيم". (23)

فالارتباطات اللفظية والمعنوية بين النص أو النصوص لا تكون إلا على مستويات ثلاث؛ معجمية ووظيفية ودلالية، وهذه الارتباطات السياقية اللغوية وغير اللغوية تتمازج بدلالات دينامكية وأستاتيكية، لأن معاني النص القرآني تتزايد حسب الأحوال والظروف وتقضي حوائج الخلق حسب الحاجات والضرورات، مما يعني أن هذا النص المقدس له صلة جذرية تتمخض منها نصيته، "إن عدم الوصول إلى فهم المراد باللفظ يكون تارة بسبب استعمال لفظ غريب وعلاجه نقل معنى اللفظ عن الصحابة والتابعين وسائر أهل المعاني، وتارة يكون ذلك لعدم تمييز المنسوخ من الناسخ، وتارة يكون لغفلة عن سبب النزول، وتارة يكون بسبب حذف المضاف أو الموصوف أو غيرهما. وتارة لإبدال شيء مكان شيء، أو إبدال حرف بحرف، أو اسم باسم، أو فعل بفعل، أو لذكر الجمع موضع المفرد وبالعكس، أو لاستعمال الغيبة مكان المخاطب، وتارة بتقديم ما حقه التأخير وبالعكس، وتارة بسبب انتشار الضمائر وتعدد المراد من لفظ واحد. وتارة بسبب التكرار والإطناب. وتارة بسبب الاختصار والإيجاز، ومرة بسبب استعمال الكناية والتعريض والمتشابه والمجاز العقلي...". (24)

وما يخص العملَ النصيَّ هنا هو تفسير أجوبة ابن عباس رضي الله عنهما عن أسئلة نافع بن الأزرق، وتباعا لذلك "مما ينبغي أن يعلم هاهنا أن الصحابة والتابعين ربما يفسرون اللفظ بملازم معناه، وقد يتعقب المتأخرون التفسير القديم من جهة تتبُّع اللغة وتفحُّص موارد الاستعمال". (25) ومن أنبل ما وصل إلينا من التراث هما

(23) نهاية الأرب في فنون الأدب: 155/16. لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري [733هـ]، تحقيق الأستاذ على محمد هاشم، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت – لبنان. انظر: السيرة النبوية: 328/1. لابن هشام [ت 213 أو 218هـ]، علق عليها وخرج أحاديثها وصنع فهارسها الدكتور عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان. الطبعة الثالثة 1410هـ – 1990م. ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: السفر الثاني/201. راجع في هذا الباب قصة تنزيه أنيس أخي أبي ذر الغفاري وكان أحد الشعراء، رسول الله ﷺ عما كانوا يقولون فيه، واعترافه بإعجاز القرآن الكريم، فقال: إنه ليس بشاعر ولا كاهن ولا ساحر، فوضع النص القرآني على أقراء الشعر وطرقه وأنواعه، فوجده نصا مميزا من كل الوجوه، ولا يلتئم معه في شيء. انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: السفر الثاني/208-209.

(24) الفوز الكبير في أصول التفسير: 37-38.

(25) الفوز الكبير في أصول التفسير: 39.

مقولات ثلاث متداولة لدى علماء العربية؛ مراعاة مقتضى الحال، لكل مقامٍ مقالٌ، ولكل كلمة مع صاحبتها مقامٌ.

عقد الإمام الشافعي بابا في "الرسالة" عند الحديث عن السياق اللغوي، وسماه "باب الصنف يبين سياقه معناه"، وإنه لم يُعَرِّفْه أصلا ولكنه قد ساق أمثلة كثيرة من القرآن الكريم، نحو قوله تعالى : ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 163] ثم قال: فابتدأ جل ثناؤه الآية بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال: إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾، دل على أنه إنما أراد أهل القرية، لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا في غيره وإنما أراد بالعدوان أهل القرية الذي بلاهم بما كانوا يفسقون. فيتضح من استدلاله أنه يعني سياق النص أو ذلك الذي عبر عنه قبل ذلك بقوله: "وتبتدئ العربُ الشيءَ من كلامها يبين أولُ لفظها فيه عن آخره وتبتدئ الشيءَ يبين آخرُ لفظها منه عن أوله، فهذه هو سياق النص" (26)

ويقول الدكتور كمال محمد بشر متحدثا عن سياق الموقف أو المقام أو غير اللغوي: "لقد نص العرب على وجود ربط الكلام بمقامه وقالوا في ذلك – مثلا علماء البلاغة استعملوه بعبارتهم الموجزة – " لكل مقام مقال " وقد اشتهر العرب بالأخذ به منذ زمن قديم... ومن أوائل من أدرك أهمية المقام وضرورة الأخذ به بشر بن المعتمر الذي يروي عنه الجاحظ أنه قال: "والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال". (27)

ومن أقرب المباحث إلى "التناص" هو العلم بالناسخ والمنسوخ، يقول الشاه ولي الله في الوجوه الصعبة والمواضع الدقيقة في فن التفسير هو معرفة الناسخ والمنسوخ، ثم يقول: "وما عُلِمَ في هذا الباب من استقراء كلام الصحابة والتابعين أنهم كانوا يستعملون النسخ بإزاء المعنى اللغوي الذي هو "إزالة شيء بشيء"، لا بإزاء مصطلح الأصوليين، فمعنى النسخ عندهم إزالة بعض الأوصاف من الآية بآية أخرى، إمّا بانتهاء مدة العمل، أو بصرف الكلام عن المعنى المتبادر إلى غير المتبادر، أو بيان كون قيد من القيود إتفاقيا، أو تخصيص عام، أو بيان الفارق بين المنصوص، وما قيس عليه ظاهراً، أو إزالة عادة الجاهلية أو الشريعة السابقة"... (28)

فالمتأخرون استعملوا مصطلح "النسخ" في أوسع معناه، ألا، وهو الإزالة، وهذه الإزالة بمجرد لفظته يصبح مدار التداخل والتناصص، لأن الإزالة فيما ورد لدى القدماء يعني العلاقة بين النصين السابق واللاحق، وهذه

(26) "دلالة السياق": 42-43. رسالة الدكتوراه لردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، جامعة أم القرى. الطبعة الأولى: 1424هـ.
(27) دراسات في علم اللغة: 57. للدكتور كمال محمد بشر، الناشر: دار المعارف بمصر، كورنيش النيل، القاهرة.
(28) الفوز الكبير في أصول التفسير: 40.

العلاقة قد تكون علاقة الإزالة أي أن النص الأول يزول بمجئ النص الثاني، أو التغير والتحول أي أنْ تتغير دلالة ظاهر الكلام وتتحول إلى غير ظاهرها، أو أن تتقيد دلالته بالخصوص أو العموم... وهذه الإزالة المطلقة في شرائع الملة وأصولها وأحكامها تظهر من استقراء كلام الصحابة والتابعين حيث أنهم كانوا لا يستعملون: جملة "نزلت في كذا" لمحض قصة أو وقعة حدثت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وصارت سبب نزول الآية، "بل ربما يذكرون بعدما صدقت عليه الآية مما كان في زمنه صلى الله عليه وسلم أو بعده، ويقولون: نزلت في كذا، ولا يلزم هناك انطباق جميع القيود بل يكفي انطباق أصل الحكم فقط". (29) وهذا التطابق والتوافق بين الآي أو النصوص يعني التشابك والتشابه والتماثل والتضارب، وإن جميعها من سمات التداخل النصي أو النصوصية، فالنص في بابه يلتمس حكما من الأحكام بناء على أوجه الشبه والخلاف بينه وبين غيره.

إذن فكلمتهم/قولهم: "نزلت الآية في كذا" لا تعني بالضرورة القصر والحصر في القصة التي نزلت الآية فيها، بل إنها تعني أن الآية قد أنزلت في هذا القبيل، سواء كان هذا أو ما أشبهه أو ما قاربه مما يعني أن التصوير صالح لتلك الأمور والمطالب، وإلى هذه النقطة أشار أبو الدرداء رضي الله عنه حينما قال: "لا يكون أحد فقيها حتى يحمل الآية الواحدة على محامل متعددة". (30) ففي هذا القول تَمَّ تصريح التعددية والتسريب والإزالة، واختلاف المنويات/المدلولات داخل النص وخارجه، فالعلاقة الدلالية بين محمل الآية في موضع ومدلولها في موضع آخر لا يخلو من تشابه الحكم أو القيود، لعله يكفي لإثبات التماسك أو التخالف أو التناقد أو التوافق بين النصوص. وهذا الأمر يقرّر بالتحقيق والتفحص أن الاتساق والانتظام لا يتأتى دون فرضية التفاهم.

كما لا يمكن أن تنقطع صلة الآيات/النصوص بالعادات الجارية والسجايا المألوفة لدى العرب الأوائل. والقرآن الكريم تابَع تلك الأساليب المألوفة والمتوارثة بينهم للانسجام والاتساق في مضامينه ومعانيه، ويمكن ملاحظة ذلك في توجيه اسم "هارون" في قوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ [مريم: 28] "فإنهم سألوا عما استشكلوه من أنه كان من بين موسى وعيسى عليهما السلام مدة كثيرة، فكيف يكون هارون أخا لمريم؟ كأن السائل أضمر في خاطره أن هارون هذا هو هارون أخو موسى، فأجاب عنه صلى الله عليه وسلم: "بأن بني إسرائيل كانوا يسمَّون بأسماء الصالحين من السلف". (31)

أسلوب النص القرآني ما كان غريبا على أهل لغته، لأن جميع الأشكال البنوية التي استخدمها القرآن الكريم في بيان مغزاه الدلالي معروفة لدى أهل اللسان العربي، ومطّردة في كلام العرب، ومن أوضح مثال لذلك باب حذف بعض الأجزاء أو أدواة الكلام مما يوجب الخفاء أو التقديم أو التأخير أو استعمال المتشابهات والتعريضات

(29) الفوز الكبير في أصول التفسير: 46.

(30) الفوز الكبير في أصول التفسير: 47.

(31) الفوز الكبير في أصول التفسير: 49.

والكنايات، وكذلك من سنن كلامهم تذكير الضمير المؤنث أو تأنيث الضمير المذكر أو إفراد ضمير الجمع، وبالعكس. وقد يذكر المفرد مكان التثنية كالإنشاء مكان الإخبار وبالعكس... إلى آخره.

فالقرآن الكريم مشحون بالكنايات والتعريضات والمجازات العقلية على شاكلة أشعار العرب الأوائل وأتباعهم، وكذلك على طراز خطبهم، "وكان من عاداتهم في مبدء القصائد التشبيب بذكر مواضع عجيبة ووقائع هائلة اختار الله عزوجل هذا الأسلوب في بعض السور كما قال: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا. فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ [الصافات: 1-2]، ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا. فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات: 1-2]، ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [التكوير: 1-2]، كما كانوا يختمون المكاتيب بجوامع الكلم ونوادر الوصايا وتأكيد الأحكام السابقة وتهديد من يخالفها، كذلك الله سبحانه ختم أواخر السور بجوامع الكلم ومنابع الحكم والتأكيد البليغ والتهديد العظيم". (32)

والمحقق إن تفسير النص القرآني لا يمكن دون تصرف عقل وإعمال فكر، فالتتبع في كلام العرب والتفطن لسوابق الآية ولواحقها أمضى مسلكا لدى المفسرين، ومن ثم تأتي جولات العقل في تحديد مراد الآية وتعيين مقصدها، فالنسخ بمعنى الإزالة أي إزالة بعض الخواص/الأوصاف من الآية المتقدمة بالآية المتأخرة بات مغزى النصية ذات التناص، وذلك لأن إزالة وصف من الأوصاف تقتصر على الزمن أي إنهاء مدة العمل أو صرف الكلام عن المعنى المتبادر أو تقييد دلالة الكلام وتخصيصه، وهلم جرا. "ومن جملة ذلك شرح الغريب وبناؤه على تتبع لغة العرب أو التفطن لسياق الآية وسباقها، والعلم بمناسبة اللفظ بأجزاء جملة وقع هو فيها، فههنا أيضا مدخل للعقل وسعة للاختلاف، لأن الكلمة الواحدة تجئ في لغة العرب لمعان شتى، والعقول مختلفة في تتبع استعمال العرب والتفطن لمناسبة السابق واللاحق، ولهذا اختلفت أقوال الصحابة والتابعين في هذا الباب، وكلٌّ سلك مسلكًا، فينبغي للمفسر المنصف أن يزن شرح الغريب مرتين: في استعمال العرب مرة وفي معرفة أقوى الوجوه وأرجحها ومناسبة السابق واللاحق أخرى، فيعلم أي الوجهين أولى وأقعد بعد إحكام المقدمات وتتبع موارد الاستعمال وتفحص الآثار". (33)

هناك تجتمع عناصر تصف النص القرآني بالنصية ما بعد الحداثية، لأن معرفة مفاهيمه مبنية على معرفة التاريخ واللغة والسياق، هذا الثالوث يقرِّر أن تتبُّع معاني القرآن الكريم، والوصولَ إلى عمقها يحتاج إلى جولات عقلية متتابعة خصوصا، للاطلاع على الفحاوى والمضامين والإيماءات والإيحاءات والاقتضاءات، ورغم ذلك ينبغي أخذ لغة القرآن الكريم من استعمال العرب الأُوَل، وليكن الاعتماد الكلي على آثار الصحابة والتابعين، وكذلك الاتباع الأقوى وما كان أوفق للسياق والسباق.

(32) الفوز الكبير في أصول التفسير: 62.

(33) الفوز الكبير في أصول التفسير: 76.

فالقرآن الكريم صورة مركبة من اللفظ والمعنى والدلالة، ثمة دوال ومدلولات ومدلولات عليها، ومن أكثر العلاقات وضوحا وإبانة بينها هي العلاقة الطبعية والوضعية والاصطلاحية، وهذه العلاقة في ذاتها تبحث عن ارتباطات عقلية ومنطقية حينا، وارتباطات توفيقية وتوقيفية مرة أخرى، وإن دلت هذه العلاقات اللفظية والدلالية على شيء فإنما تدل على العنصرية المشتركة بينها التي تدرس الإعجاز المتعلق بالفصاحة للنص القرآني، فليس يتعلق ذلك الإعجاز بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى، "وذاك أن ألفاظه ألفاظهم ولذلك قال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: 2]، وقال ﴿الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة: 1-2]، تنبيها على أن هذا الكتاب مركب من هذه الحروف التي هي مادة الكلام، ولا يتعلق أيضا بمعانيه فإن كثيرا منها موجود في كتب المتقدمين، ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 196]، وقال: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [طه: 133]، وما هو بمعجز فيه من جهة المعنى، كالإخبار بالغيب فإعجازه ليس يرجع إلى القرآن بما هو قرآن بل هو لكونه خبرا بالغيب، وذلك سواء كونه بهذا النظم أو بغيره، وسواء كان موردا بالفارسية أو بالعربية أو بلغة أخرى، أو بإشارة أو بعبارة، فإذن بالنظم المخصوص صار القرآن قرآنا كما أنه بالنظم المخصوص صار الشعر شعرا أو الخطبة خطبة، فالنظم صورة القرآن واللفظ والمعنى عنصره، وباختلاف الصورة يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره". (34)

عربية القرآن، ثم تسميته بالكتاب حينا، وبـ الكتاب المبين حينا آخر، ثم إرجاع شرائعه السامية إلى زبر الأولين، والاستدلال على أحقية مضامينه ومفاهيمه بالصحف الأولى، وكذلك الإبانة عن عدم نفاد كلمات الله العليا في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: 109]، ثم مداخلة النسخ ووقع التبديل في النص القرآني في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: 101]، وكذلك النزول والتنزيل بواسطة روح القدس... إلخ أمور تدرس قمة نصية النص، بل إن قلت إنَّ القرآن الكريم كتاب يكاد أن يُثْبِتَ حقيقة "النصية" في طواياه أفضل بكثير مما تقولها الحداثة وما بعدها لكنت غير مبالغ في هذا الحكم. ولعل الأمر يتضح بكثير لمن ينظر في القرآن الكريم بدقة متناهية وانتباه عميق، أما ما يختلف النص القرآني من النص الغربي هو المنهج فحسب، واختلاف المنهج لا يضير نصيةَ نصٍّ أيا كان ذلك، لأن "النصية" لا تقتصر على مفهوم دون مفهوم، وكذلك لا تنحصر دائرة "التناص" في مدلول دون مدلول، بل "النصية" في أوفق معانيها أصبحت منهجا نقديا، ثمة قضايا تدرسها تلك "النصية" في ضبط "النص"، إذا فات النصَّ عنصرٌ من تلك العناصر يفقد النصُّ حيويتَه، والنص القرآني رغم تلك المداخلة اللفظية والمعنوية والدلالية والسياقية... أكثر بكثير مما يتصوره العاقل بينه وبين ما سلفه من الكتب والصحف والزبر وكلام العرب الأوائل والعهد الجاهلي... ما استطاع أحد أن يقوم في وجه نظمه الحصين، وأسلوبه المتين، وهذا الأمر يحقق إعجازَه الذي

(34) مقدمة التفسير: 429. لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الملقب بالراغب الأصفهاني [502هـ]، طبع بمطبعة الجمالية بمصر، الطبعة الأولى سنة 1329.

دهش منه أناس مفلقون، وحينما التمسوا وجها فما وجدوا لنزول القرآن الكريم بلغتهم سويا بغير تفاوت، "وهم فهموا معنى منطوقه بقريحته جبلوا عليها كما قال: ﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الشعراء: 2]، وقال: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: 3]، وقال: ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1]، وكان مرضى الشارع عدم الخوض في تأويل متشابه القرآن، وتصوير حقائق الصفات الإلهية، وتسمية المبهم، واستقصاء القصص، وما أشبه ذلك، ولهذا ما كانوا يسألونه صلى الله عليه وسلم عن شيء من ذلك". (35)

ولعل قول الإمام عبد القاهر الجرجاني [471هـ] مفيد للقارئ في باب النظم الذي قصده الراغب الأصفهاني، يقول الإمام: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهِجَتْ فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق وزيد ينطلق وينطلق زيد ومنطلق زيد وزيد المنطلق والمنطلق زيد وزيد هو المنطلق وزيد هو منطلق". (36) وهكذا جرى الأمر في الشرط والجزاء، والحال وذي الحال، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والمميز والتمييز، والمؤكدات، والحذف والذكر، والتكرار والإضمار والإظهار، فيضع كلا من ذلك مكانَه.

فتقرَّر مما سبق أن القرآن الكريم سلك مسالك ضروب الكلام، وسار مسارات صنوفه، ولذلك تتحقق "النصية" في القرآن الكريم لاتصافها بسمات لا يتسم بها إلا النص المتكامل، فالبحث في دوائر التعالق داخل النص وخارجه ينصبغ بارتسام تلاقح المطالب، وتعالق المعاني، وتثاقف الفحاوى، ثمة لمحات عريقة تكشف عن إعجاز النص القرآني، ولاسيما من الناحية المضمونية والدلالية/السياقية، وكذلك اللفظية، يقول الدكتور سعيد بحيرى في مفهوم "النص" أنه: "وحدة كبرى شاملة لا تضمها وحدة أكبر منها، وهذه الوحدة الكبرى تتشكل من أجزاء مختلفة تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي، ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي، ويتكون المستوى الأول من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية، ويتكون المستوى الثاني من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية". (37)

ومما ذهب إليه علماء علم التفسير وأصوله يتأكد أن "النص" يلازم السبك أي الربط النحوي بين أجزاء النص، والحبك أي التماسك الدلالي بين أجزاء النص، والمقامية أي مناسبة النص لمقتضى الحال، والتناص أي السياق الثقافي للنص. فكل نص سواء كان نصا مغلقا أي ذا دلالة واحدة، أو نصا مفتوحا أي ذا دلالة متعددة يتصف بالحبك والسبك والمقامية والتناص... ومن أمثل النموذج لذلك هو النص القرآني، فلا يسمح للعقل أن

(35) الفوز الكبير في أصول التفسير: 37.

(36) دلائل الإعجاز في علم المعاني: 70.

(37) نحو النص بين الأصالة والحداثة: 24. لأحمد محمد عبد الراضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. الطبعة الأولى 1429هـ-2008م.

يجول ويصول حيث يشاء، وكذلك يدعو إلى الاعتبار والتفكير والروية فيه عن طريق تحليل عناصر نصه وتفكيك دلالاته على مستوى التواصل الشكلي والمضموني، "ويبدو أن المفسرين قد فهموا أكثر من غيرهم أن دور القاعدة النحوية لا ينتهي عند شكل الكلمة، وإنما يتجاوزه إلى التركيب، تركيب الكلمة داخل الجملة وما تؤديه من عمل في تجلية المعنى، ومن هنا تأتي أهمية العلاقة الحميمة التي حاول المفسرون إقامتها بين القاعدة النحوية والنص القرآني، وهذا أمر طبعي، فعملهم يقوم أساسا على النظرة إلى النص القرآني كاملا إلى درجة أنهم رأوا القرآن الكريم كالكلمة الواحدة، كله آخذ بعضه بيد بعض؛ فأكدوا التماسك الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والدلالي، وكذلك التماسك النصي، وأيضا أكدوا المناسبة بين حروف الكلمة الواحدة، وكلمات الجملة الواحدة، وجمل النص الواحد، ونصوص القرآن كله". (38)

واتضح من ذلك أن من مفاهيم "التناص" استحضار نص ما بنص آخر. وكذلك العناصر التي تربط النص بنصوص أخرى. فكل نص يمثل استيعابا وتحويلا لعدد كبير من النصوص، وبذلك "يهدف التناص إلى الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النصوص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص – أو لأجزاء من نصوص – سابقة عليه". (39) والقرآن الكريم نزل بلغة مألوفة عند العرب، ولم تنصرف لغته عن أساليبهم حتى اضطر مصاقع الأدباء والمفلقون إلى الاعتراف بأن القرآن الكريم كلام إلهي لا يشوبه نقص ولا خلل قَلَّ أو جَلَّ، إنه نص أرسى دعائمه على المواضعات والمسلَّمات التي مكنَّهم من فهمه، وبذلك تزايد وصف "النصية" في النص القرآني التي تحقق دمج السيرورة التاريخية والاجتماعية؛ العلاقة الوثيقة بين النص القرآني والواقع، وهذه السمة في النص القرآني لا تضر قدسيَّته، فازدواج البؤرة هنا "لا يعني أن دراسة التناص هي دراسة للمؤثرات أو المصادر أو حتى علاقات التأثير والتأثر بين النصوص، ولكنها دراسة تشمل كل الممارسات المتراكمة والأنظمة الإشارية والشفرات الأدبية والمواضعات التي فقدت أصولها، وغير ذلك من العناصر التي تساهم في جعل قراءة النص معبرا لفهم أفقه الدلالي والرمزي. وفي هذا الإطار تشير جوليا كريستيفا إلى أن التناص جملة المعارف التي تجعل من الممكن للنصوص أن تكون ذات معنى". (40)

لاحظ المفسرون كل الإمكانيات التي تدل عليها "النصية المعهودة" في ميدان "التناص"، وراعوا المناسبات اللفظية والمعنوية والسياقية والظروف المحيطة بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وترتيب السور وما إلى ذلك كـ مدخل منهجي ضروري بغية الوصول إلى المعنى والمطلب وتحديده واستكناه قدرات النص على استيعاب الواقع والوقائع :

(38) نحو النص بين الأصالة والحداثة: 149.

(39) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: 194. للدكتور حسام أحمد فرج، تقديم للدكتور سليمان العطار والدكتور محمود فهمي حجازي. مكتبة الآداب، القاهرة. الطبعة الثانية 1430هـ-2009م.

(40) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: 195.

"فلهم فيه (تعريف علم التفسير) عبارات أحسنها قول أبي حيان: هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي يحتمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك... وقولنا: وتتمات لذلك هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضيح بعض ما أبهم في القرآن ونحو ذلك". (41)

ويقول ابن كثير [774هـ] في سياق الحديث عن التفسير بالمأثور مجيباً عن قول القائل: "فما أحسن طرق التفسير؟ (فالجواب) أن أصح الطرق في ذلك (التفسير) أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له، بل قد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن... فإن لم تجده فمن السنة... وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح..". (42)

ينشأ "النص" في عالم ملئ بالنصوص، ومن ثَمَّ فإنه يسعى إلى التصرف فيها؛ إما بالإحلال وإما بالإزاحة، وكلاهما من سمات آليات "التناص" أو حركة علاقات النصوص بعضها ببعض، "والنص في كل الأحوال يكون نتاجا لعلاقة جدلية بين النص الحالّ والنص المُزاح". (43) فالقرآن الكريم نص حالٌّ، إنه ما نشأ في فراغ، أما النصوص السابقة أو الزبر المتقدمة فإنها نصوص مُزاحة، وهذه العلاقة الجدلية تتسم في علاقة التفاعلية، لأن النص البديل لا يستغني عن النص المستبدل به في كشف رؤاه الجديدة أو رؤية القديم في ضوء الأبعاد الخافية في الجديد. والقرآن الكريم يصرح بما قلته، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: 6]، فالمعلومات حول الرزق والاستقرار والاستيداع موجودة في سِجِلٍّ سماه الله تعالى بـ "كتاب"، ثم وصفه بـ "مبين"، ويقول تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]، باسم الإشارة للبعيد تعظيما وتكريما للكتاب المبين، ثم عرَّف "الكتاب" للتأكيد على صدق المطلب، ثم صرح ذاك التأكيد بنفي الجنس القاطع؛ "لا"... ثم استطرد الجاحدين بذكر الحال "هدى" أي: هاديا مع الاستثناء

(41) التحبير في علم التفسير للسيوطي: 36-37. بتحقيق وتقديم للدكتور. فتحي عبد القادر فريد، دار المنار. الطبعة 1406-1986.

(42) تفسير القرآن العظيم المعروف بـ تفسير ابن كثير لابن كثير القرشي: 20/1. تقديم عبد القادر أرناؤوط، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض. الطبعة الأولى 1419-1999.

(43) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: 197.

المعنوي، ألا وهو كلمة "المتقين"، ثم يمكن ملاحظة دقائق هذا النظم العميق حيث باشر سبحانه وتعالى تلك الآية بقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: 3]، وصفا وبيانا للمتقين بصفة إيمانهم بالغيب، مما يعني أن هناك من المعلومات والعلوم والمعارف تعجز العقول من دركها مهما قد أحاطها هذا الكتاب المبين. فالمعنى الشائع للتداخل/التناص أن اللاحق يكون نتاج السابق وإن توافق مع النص الإنساني، ولكنه لا يتوافق تماما مع النص الإلهي، وبذلك يختلف مرمى "التداخل/التناص" من مرامي النص والنصية والتناص.

ولدقة معرفة مواطن التداخل في القرآن الكريم نأخذ على سبيل المثال تفسير القرآن بالقرآن، وقد انتهجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سأله أعرابي عن معنى آية من القرآن الكريم وهي: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82]، قائلا: "وأينا لم يظلم نفسه؟ ففسر له النبي صلى الله عليه وسلم الآية بإيضاحه معنى "الظلم" بأنه "الشرك" مستشهدا بآية أخرى من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]". (44) هذا التداخل بين الآيتين لا يتم دون نقل الحصيلة الدلالية من آية إلى آية أخرى لانطوائهما على الخصائص التي تفضي إلى التماسك والانسجام.

ومن المستحيل أن يفهم النص بدون وضعه في سياق "النصية"، وبدون فكرة "النصية" يتعذر الحديث عن المدلولات والمحمولات للكلمة أو الجملة أو الفقرة أو النص، لأن سياق "النصية" يُكْسِبُ "الشفرة اللغوية" من المعنى المحدد من السياق الذي تظهر فيه وتتعامل معه. فالنصية تقوم بدور فعال في صياغة ملامح النص الجديد، وفي تحديد علاقته بالعالَم الذي يظهر فيه. فالنص القرآني بوصفه اتصالا بخارجه واتصالا ضمن النص الواحد يقدم البُعْدَ الوظيفي للتناص، هذه الوظيفة النصية تغذِّي اتصال النص القرآني بالذات أو بأنظمة علاقات أخرى. هنا يلاحظ أن "التناص" في القرآن الكريم مبني على أساس استيعاب وتحويل وتبديل لعدد كبير من النصوص، مما يعي حوار النصوص كما ترى جوليا كريستيفا "أن التناص هو حوار النصوص أو امتصاص لها، على أساس من انعكاس واحد أو مجموعة من الأصول الثقافية في كل نص، أو أنه ترحال للنصوص، ففي فضاء النص تتقاطع وتتلاقى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى". (45)

فالنص القرآني كما بدا من كلام العلماء يتفرع إلى نمطين: النمط الجزئي والنمط الكلي. فالنمط الجزئي يعني الشفرات اللغوية والمقتطعات النصية والشظايا المعجمية، ومن المحقق أن "التناص" يتحقق في النص القرآني لفظا

(44) أصول التفسير وقواعده: 32. للشيخ خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت. الطبعة الثانية 1406هـ-1986م.
(45) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: 217.

ودلالة من هذا الإطار أي إن مستوى هذا النص المقدس مهما بلغ ذروة بلاغته وفصاحته، ولكن أشكال أسلوبه وصور بيانه ما كانت غريبة على مسامع أصحاب البيان. ويتخذ القرآن الكريم/النص القرآني في تعامله مع قارئه الأول/العرب الأوائل اتجاهات عدة. وبذلك لا بأس فيما يقال إن النص القرآني تعبير عن إنتاجات سياقات العصر لوجود لمحات عريقة في وعي ذاكرته، كامنة في أعماقه، إنه يمثّل قوة خارقة للماضي والحاضر وتقاليدهما في كيانه المعجمي والوظيفي والدلالي/السياقي رغم علوّ كعبه بين النصوص السابق واللاحقة، "وعلى هذا يقوم "التناص" على العلاقة النصية التي تصل اللاحق بالسابق، وترد علاقات الحضور إلى علاقات الغياب، ويحدث هذا في التجاوب الدلالي الذي تشير به النصوص إلى النصوص السابقة، أو تردِّد به النصوص أصداء غيرها الذي يكمّل معناها". (46)

أما النمط الكليّ فيعني النص الكلي أو النظم الكلي ذا صلة بذاته، فلا يجري فيه "التناص" ولا يطّرد فيه عمل تحويل وتمثيل، وكذلك لا يقاس فيه الحس التاريخي والثقافي، ولا يحقق فيه التفاعل بين الحاضر والماضي، لأنه باعتباره أسلوبا أمثل يكسبه رونقا وجمالا يصبح بريئا من التأثر والتأثير، والمصدرية والمرجعية، والتفاعلية اللفظية والدلالية بجملة معانيها. فالنظم القرآني من إطار كليته لا يكون نتاج استلهام أسلوبه أو مضمونه وكذلك لا يكون نتاج استفادة من الإرث الماضي أي التاريخي والثقافي في تحييز وجوده ولكنه مفاد نتاجات تلك النصوص البائدة والحاضرة، ولذلك أرى في القرآن الكريم نوعي النصوص: النصوص الظواهرية والنصوص التكوينية، ثمة محتويات لا تتبادر معانيها إلى الذهن من القراءة الفاحصة فيها بينما توجد في هذا الكتاب المبين من المعاني غير الظاهرة، لا تتحقق مدلولاتها للعقل بإلقاء نظرة عاجلة فيها بل إنها تطلب أحيانا الصمت اللازم من الإنسان، رغم هذا التناغم بين النصوص الظواهرية والتكوينية ينبغي أن يقال إن النص القرآني لا يقتصر على زمان دون زمان، أو حال دون حال، أو مكان دون مكان، إنه نص ثابت نزل بأساليب أهل زمانه، وسلك الشظايا اللفظية والدلالية التي جاءت على المهيع الذي كانت تسلكه العرب في كلامها.

وقبل ختام البحث ينبغي لي أن أشكِّل المخطط الثالوث على أساس – انتماء "اللغة" إلى النص القرآني – فلا يقال: لغة الله، لاستعارة أداة "اللغة" قيمة شظاياها من العوامل الداخلية والخارجية، إلا أنه ما تداول في الثقافة الإسلامية هو المعروف بـ: "لغة القرآن الكريم". أما "الكلام" فإنه ينتسب إلى الله تعالى فيقال: كلام الله، أي إنه

(46) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: 217.

كلامه، ولا شريك له فيه، والذي يجمع بين هذين الوجهين هو: "النص"، فعلاقة النص بطرفيه هو "النصية/التداخل/التناص"، فلا مناص للنص أو النص القرآني من هذه النصية التناصية.

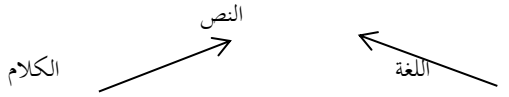

الخاتمة

وفيما سبق حاول البحث أن يصل إلى نتائج تالية:

- لا يوجد في العالم نص كائنا ما كان يخلو من النصية.
- النص القرآني رغم كونه كلاما لله الأحد الواحد له صلات عميقة بغيره من الكلام.
- لم يغفل النص القرآني مسايرة أساليب البيان الجاري بين أهل الزمان بل الأزمان.
- طرح القرآن الكريم شواهد عديدة تؤيد المداخلة النصية والممارسة التناصية بين أوجه النصوص المختلفة.
- ثمة أوجه شبه وأوجه اختلاف، ولا تنشأ تلك الأوجه دون سبب من الأسباب مثل الترسيب أو الإزاحة... والنص القرآني من أمثل النماذج وأنبلها في إثبات صلات وطيدة للفظته ومعناه بلفظة العرب ولغته وكلامه.
- جمع القرآن الكريم في ثناياه أشتاتا من المفردات تعود أصولها إلى لغات ترجع أخيرا إلى سلالات مختلفة، مما يعني أنه في أدنى مراتب نصوصيته تلازم نصية اللفظة.
- استدل القرآن الكريم بذاته على أنه ما جاء به ليس بغريب بل إنه هو عين ما جاء في الصحف الأولى، وفي زبر الأولين، وهذا من أوضح الأدلة على أن هناك علاقة التمازج/التماثل بينه وبين غيره من النصوص.

هل بين لغة القرآن الكريم وغيرها علاقة؟ نعم، فما هي تلك العلاقة؟ وما مداها في النص القرآني؟ هذا وأشباهه من عشرات الأسئلة التي تنتظر الإجابةَ عنها على مستوى البحث والمنهج.